

صفحات من الحياة الثقافية

في الكويت قديما

د. بدر محمد ملك د. لطيفة الكندري

الفهرس

٣	المقدمة
٤	نبذة سريعة عن التعليم في الكويت قديما
٦	منهجية الدراسة الراهنة
٦	القناعي في سطور
٧	شيوخ القناعي وتلاميذه
٨	مؤلفات القناعي
٨	الفكر التربوي الرائد عند القناعي
٩	آراء القناعي في المرأة
١١	آراء عامة
١٢	من كتاب صفحات من تاريخ الكويت
١٢	المعارف والصناعة
١٤	السبب في بناء المدرسة المباركية
١٥	علماء الدين في الكويت
٢٠	مناقب الكويتيين
٢١	الخرافات في الكويت
٢٢	منزلة المرأة عند الرجال وأعمالها ومعتقداتها
٢٤	من كتاب الملتقطات
٢٤	السبب في تأسيس الأحمدية
٢٦	حكاية في مدرسة المباركية
٢٦	السعي في طلب العلم
٢٧	طلب العلم في الإحساء
٢٨	حقيقة مرة

٣٠ بيان حقيقة تاريخية

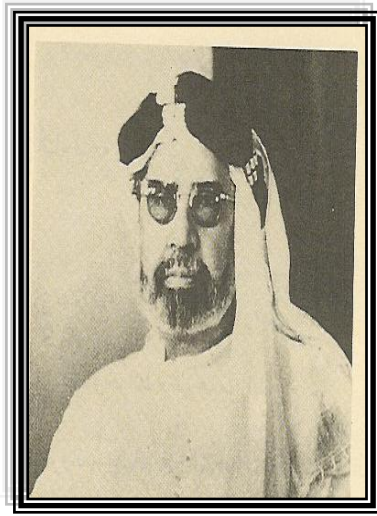
٣١ أهم المراجع

المقدمة

يعد مجال دراسات الفكر التربوي من أخصب وأمتع الميادين الفكرية؛ إذ أن تاريخ مؤسسات التعليم وسيرة العلماء وغيرهم من أهم روافد الثقافة والتربية. إن تراجم العلماء تحتوي على قصص مؤثرة، ومواقف خالدة، وأفكار مبدعة، ونظرات بصيرة تدفع إلى تكوين الهمة العالية لا لتقليد العظماء بل لإتباع وتطوير منهجهم في التجديد والإبداع فالعقول المستنيرة تدرس جوانب العظمة في السابقين من أجل أن تكون حافظا لها نحو الرقي.

ويشتاق شدة المعرفة في الكويت والخليج العربي إلى قراءة متأنية لمسيرة التعليم على أرضهم فهي قصة كفاح تستحق الذكر والتفكير. والحق أن الخليج العربي يحتوي على طاقات أثنى من آبار النفط ولا تنضب قط.

لقد حمل القناعي على عاتقه مسؤوليات جسام في سبيل النهوض الحضاري ولمواجهة الجمود الثقافي في الوقت الذي ناءت بحمل المسؤولية الإصلاحية شخصيات كثيرة أنكرت كل فكر جديد ونبذت تعددية الآراء، ووقفت وقفة المعارض بل الناقض لكل ناهض. ذلك كله من دواعي الاعتبار وملازمة التدبر في مسيرة القناعي الذي هو بمثابة مستودع الخبرات التربوية الثرية التي تتكون من سلسلة متصلة الحلقات تمس سياستنا التعليمية ومن مثلها تستلهم فلسفتنا الراهنة عظات الأمس وطموحات المستقبل.



لقد قام القناعي بالمواءمة بين القديم والحديث فنقد التراث دون أن ينتقص من شأن محاسنه كما انفتح على الفكر الغربي الوافد باعتدال المصلح الحذر الفقيه وهو المسلك الوسطي الذي يخدم الواقع لا سيما والأمة المسلمة تجهل مستجدات عصرها وتتمسك تحسين مستقبلها. لقد أسرف البعض في نقد الغرب إلى حد الاستخفاف بكل منجزاته في حين أفرط البعض في نقد التراث حتى حمله إصر مصائبنا كلها. والكيس الفطن لا يقتر ولا يسرف في تقييم الأمور لأن الحسنة دائما وأبداً بَيْنَ السَيِّئَتَيْنِ. إن طبيعة التفاعل الحضاري تفرض على المصلحين تعظيم شأن التبادل الثقافي وعدم التواني في تغيير الأحوال الفاسدة بكافة الطرق السلمية الممكنة والقناعي قدوة حسنة بصيرة في مضمار الإصلاح المنهجي الوسطي الذي غفل عنه الكثير من الشباب فوقعوا في مهالك التشدد أو الإلحاد.

لقد اتبع القناعي منهج إصلاحي متفتح في قضايا الفقه والتربية والتعليم مما أثار غضب بعض العلماء المتشددون في زمنه، والآن، وبعد مرور عشرات السنين، أصبح القناعي من أقطاب الإصلاح وذهبت التهم الموجهة إليه أدراج الرياح. إن مسيرة التحديث لا تتوقف وتظل جهود المصلحين ملهمة لنا جميعا لمزيد من التجديد.

نبذة سريعة عن التعليم في الكويت قديماً

ورد في الموسوعة العربية العالمية "استمر التعليم في الكويت على طريقة الكتاتيب المعروفة في العالم العربي والإسلامي حتى مطلع القرن العشرين. وتم افتتاح أول مدرسة نظامية في الكويت يوم ٢٢ ديسمبر عام ١٩١١م، هي المدرسة المباركية التي أشرف التجار على إدارتها والصرف عليها من تبرعاتهم. وفي عام ١٩٢١م تم إنشاء المدرسة الأحمدية وازدادت المدارس بعد ذلك. وتوجه الكويتيون نحو تعليم بناتهم أيضاً بدلاً من جعل التعليم مقصوراً على البنين فقط، فافتتحت أول مدرسة ابتدائية للبنات بالكويت عام ١٩٣٨م. وفي العام الدراسي نفسه افتتحت أول فصول ثانوية للبنين.

ونتيجة للنهضة الاقتصادية العظيمة، تتابع فتح المدارس المختلفة للجنسين فأنشئت دور المعلمين والمعلمات لتدريب معلمين ومعلمات من الكويت يقومون بالتعليم فيها. وقد قام بهذه المهمة عدد من المعلمين الوافدين من البلاد العربية وغيرها. واهتمت الدولة أيضاً بالتعليم المهني لأهميته القصوى، فأنشأت عدداً من المدارس المهنية التي يدرس فيها الطلاب أصول الحرف المختلفة. وإضافة إلى ذلك، ففي الكويت اهتمام شديد بتعليم الكبار، وجهود كبيرة لمحو الأمية عن كل أفراد الشعب الكويتي.

ولما أنشئت جامعة الكويت عام ١٩٦٦م فتحت المجال أمام الشباب في الكويت للدراسات الجامعية وفوق الجامعية. وكانت نواة هيئة التدريس فيها من غير الكويتيين. لكنه سرعان ما تأهل للتدريس رواد كويتيون ورائدات كويتيات بعد ابتعاثهم" (باختصار).

أما عن تعليم الفتاة فلقد "ارتبط تطور تعليم الفتاة بتطور حاجات المجتمع بعد تفتحه على المجتمعات الأخرى ومعرفته بدور المرأة في بناء المجتمع إذا كانت صالحة واعية لتربية جيل واع مؤمن تربية تكمل بها مهمة المدرسة. وظهر دعاة الإصلاح يوسف القناعي ومساعد بن السيد عبدالله الرفاعي وعبد العزيز الرشيد ينادون بضرورة تعليم المرأة في المجتمع مع ما لاقوه من معارضة بعض عناصره. وكان الرجل بذلك هو الذي طالب بتعليم المرأة بسبب جهلها أولاً وعدم قدرتها على المطالبة بحقوقها آنذاك ثانياً.

شهدت الكويت في عام ١٩٣٦م إنشاء مجلس المعارف ليشراف على التعليم كله وليصبح التعليم حكومياً مجانياً لكل راغب فيه.

وكان المجلس مؤلفاً من اثني عشرة شخصية كويتية برئاسة الشيخ عبد الله الجابر الذي بدأ ورفاقه التنبه إلى ضرورة تعليم الفتاة وعقدوا الاجتماعات لبحث هذا الأمر وما يتوقعونه من ردود الفعل عليه في

المجتمع ، وقرروا فتح أول مدرسة نظامية للبنات في العام الدراسي ١٩٣٨/٣٧ م هي المدرسة الوسطى وهي قرية من مدرسة المباركية للبنين.

وتعاقد المجلس مع أول مدرستين مؤهلتين للعمل في هذه المدرسة هما وصيفة عودة وشقيقتها رفقة عودة من فلسطين ، وعملت معهما مريم الصالح أول مدرسة كويتية في مدارس الحكومة ، وما أن أعلن المجلس عن فتح هذه المدرسة حتى ارتفع عدد المسجلات بها في نهاية العام من مائة طالبة إلى ١٤٠ فتاة. وفي العام نفسه افتتحت مدرسة الملاية بدرية العتيقي الخاصة (والمعروفة باسم بنت مطرة) واستمرت حتى عام ١٩٥٠ م وأدت دورا في تعليم الفتاة أهلها للتقدير والاحترام من المجتمع في حياتها وبعد مماتها. وما أن حل العام الدراسي ١٩٤٦/٤٥ م حتى كان هناك أربع مدارس للبنات بعد افتتاح مدرسة الزهراء في العام نفسه وتعيين مريم الصالح مديرة لها" (موقع الديوان الأميري، باختصار) . ولدت مريم عبد الملك الصالح المبيض في الكويت وتنتمي إلى أسرة متعلمة وحريضة على تحصيل العلوم ولاسيما الشرعية. حصلت على شهادة تسمى دبلوم التربية النسوية، وكانت أول شهادة تحصل عليها الفتاة الكويتية^١.

لقد مرت الكويت في مرحلتين من النمو. المرحلة الأولى هي مرحلة الانفتاح الفكري وهي تبدأ من بدايات الكويت إلى الحرب العالمية الأولى والثانية هي مرحلة النضج وتبدأ من تدفق النفط حيث انتشرت المدارس وبدأت النهضة السريعة تأخذ طريقها في الحياة. لقد شهدت المرحلة الأولى انفتاحا كبيرا "بعد الجمود الذي أصاب الحياة الثقافية والفكرية في المجتمع الكويتي منذ بداياته وحتى الحرب العالمية الأولى. حيث وفد إلى الكويت العديد من رجال الفكر والأدب والعلم من العرب وظهرت المجالس الأدبية الديوانيات التي كانت بمثابة مركز للإشعاع الفكري . فكانت الديوانيات تتداول أحاديث الفقه والأدب والشعر وغيرها ودعم ذلك قيام التعليم الأهلي المنظم بجهود بعض وجهاء الكويت حيث تم إنشاء المدرسة المباركية في عام ١٩١١ م ثم تلتها ولادة الجمعية الخيرية ذات الطابع الثقافي والإنساني . عام ١٩١٣ وتم تأسيس المدرسة الأحمدية عام ١٩٢١ م وصدرت أول مجلة كويتية عام ١٩٢٨ م باسم (مجلة الكويت للأستاذ المؤرخ عبدالعزيز الرشيد).

وقد كان قيام الحركة الثقافية والفكرية بدعم مادي ومعنوي من وجهاء الكويت حيث تعد هذه الخطوات بمثابة الأساس الذي قام عليه التعليم الحديث في الكويت وظهرت كذلك الصحافة العربية والمحلية أيضا وأدت هذه العوامل مجتمعة إلى ظهور بدايات قوية لمرحلة اتسمت بالنضج في كافة جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية بالكويت" (موقع مجلس الأمة، ٢٠٠٤ م بتصرف يسير).

^١ مريم عبد الملك الصالح المبيض. انظر :- [http://www.kuwaitculture.org/www/prisez-](http://www.kuwaitculture.org/www/prisez-mariamAlsaleh.htm)

منهجية الدراسة الراهنة

- قرر الباحثان دراسة تاريخ التعليم في الكويت من خلال دراسة الفكر التربوي عند يوسف بن عيسى القناعي وسيمر هذا البحث في مرحلتين وهما:
- (مرحلة الإعداد) وهي المرحلة الحالية التي تركز على قراءة مؤلفات القناعي واستخلاص مجموعة من الأفكار التربوية ثم نشرها على شبكة الإنترنت في موقعين (موقع بدر ملك وموقع لطيفة الكندري) وقد تم الانتهاء من هذه المرحلة بحمد الله تعالى.
 - (مرحلة التنفيذ) وهي تحليل المضامين التربوية في دراسة مستقلة متخصصة.

القناعي في سطور

كان يوسف بن عيسى القناعي (١٢٩٦ - ١٣٩٣ = ١٨٧٨ - ١٩٧٣ م) ذكياً مُتَوَقِّدَ الذهن، مُصِيبَ الرَّأْيِ، مخلص العمل، باحثاً عن الحق مؤسساً للخير. يقول القناعي عن تربيته الأولى "نشأت في الكويت كما نشأ غيري من أبنائها في محيط عم الجمود واستحكمت فيه البدع والخرافات التي سترت الحق وقلبت الحقائق وكان لمؤلفات الإمامين الجليلين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومجلة المنار الغراء أكثر أثر في إنارة السبيل أمامي وإماطة الستار الذي أبصرت من خلفه الحق واضحاً فتغيرت بعده كل ما ألفته مما لا يتفق مع الدين في شيء".

- تلقى العلوم في الكويت والإحساء ومكة المكرمة على يد كبار رجال العلوم الشرعية واللغوية في تلك البلاد. "استحب السلف التغرب عن الأهل والبعد عن الوطن قليلاً للشواغل، لأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن درك الحقائق، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، ولذلك يقال العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك".

- عكف على تأسيس المدرسة المباركية -أول مدرسة نظامية في الكويت- وتطوع للعمل فيها مجاناً كناظر لها ومدرس فيها.

- ساهم في تأسيس المدرسة الأحمدية وتطوع للعمل فيها مجاناً كناظر لها ومدرس فيها.

- عمل في القضاء مجاناً عدة وهو قاضي التمييز في الكويت في المسائل المدنية والأحوال الشخصية، وكان يقوم بعمله في ديوانيته يريد بهذا العمل وجه الله سبحانه فلم يقبل أن يأخذ أجراً مالياً نظير عمله المرهق والحساس بجسامة المسئوليات.
- انتخب نائباً لرئيس أول مجلس شورى سنة ١٩٢١ في الكويت ثم نائباً لرئيس مجلس الشورى سنة ١٩٣٨، وعين عضواً في مجلس إدارة البلدية وعضواً في مجلس إدارة المعارف. هذه المجالس من أسباب ترسيخ مفهوم الشورى والعمل البرلماني كتطبيق في دولة الكويت.
- توفي القناعي في عام ١٩٧٣ م وكان تشييعه إلى مثواه في أضخم موكب شهدته الكويت حيث خرجت الكويت عن بكرة أبيها تشييع أستاذها الأول ورائدها الفذ الشيخ يوسف القناعي.

شيوخ القناعي وتلاميذه

درس القناعي على يد عدد من العلماء الأجلاء من مثل:

١. دخيل الجسار إذ درس على يده علوم القرآن وحفظه وقد فتح كتابه عام ١٣٠٦ = ١٨٨٨ م (وزارة التربية، ٢٠٠٢ م، ج١، ص ٣٨).
 ٢. عبدالله خلف الدحيان حيث درس القناعي علي يده متن الأجرومية والفقہ الحنبلي. وإذا كان الكثير من الناس رفضوا التجديد والمدارس العصرية في الكويت ووصفوا المدرسة الأحمدية بأنها المدرسة النصرانية (الحجوي، ١٩٩٣ م، ص ٨٥، قسم الاجتماعيات، ١٩٧٦ م، ٥٤) فإن الدحيان ساند المدرسة ووقف مع القناعي "فكان أول خطيب افتتحها شاكرًا القائمين على تأسيسها" (العجمي، ١٩٩٤ م، ص ٣٥). ولقد أطلق القناعي على شيخه الدحيان لقب "بحر العلوم" عندما رثاه في قصيدة من قصائده (العجمي، ١٩٩٤ م، ص ٣٤٤).
 ٣. عبدالوهاب سيد يوسف الرفاعي حيث تعلم على يده علم الحساب والخط.
 ٤. عبدالرحمن بن صالح آل عبدالقادر من علماء منطقة الإحساء .
- تتلمذ على يد الشيخ القناعي ثلة من العلماء من مثل:
١. عبدالرحمن محمد الدوسري (١٩١٣ - ١٩٧٩ م) درس عنده في المدرسة المباركية وهو من أشهر دعاة المملكة العربية السعودية (بادحدح، ٢٠٠٤ م، العقيل، ٢٠٠١ م، ص ٤٣٣).
 ٢. مرشد محمد السلطان (١٩٠٧ - ١٩٧١ م) وهو صاحب أقدم مدرسة أهلية (١٩٢٧ م) وهي مدرسة ملا مرشد (جمال، ٢٠٠٣ م، ص ٤٠٦).
 ٣. محمد محمد صالح التركيت (١٩٠٤ - ١٩٨٩ م) الذي أصبح لاحقاً أمين المكتبة الأهلية ثم مكتبة المعارف (الكندري، ٢٠٠٤ م، تشجيع القراءة، ص ٥٨، يوسف، ٢٠٠٢ م، ص ٢١٦). أخذ

الشيخ محمد من الشيخ يوسف القناعي اللغة العربية والدين الإسلامي في ديوانيته (مليحي، ١٩٧٤ م، ص ١٤).

مؤلفات القناعي

- المذكرة الفقهية في الأحكام الشرعية.
- صفحات من تاريخ الكويت.
- الملتقطات (صدر منها سبعة أجزاء).

الفكر التربوي الرائد عند القناعي

الرَّؤْيُ لغة مصدر فعل الرائد وهو الشخص الذي يُرْسَلُ في التماس المكان المناسب للإقامة والسكن، والجمع رُؤَاد مثل زائر ورُؤَار وقولهم "يدخلون رُؤَاداً ويخرجون أدلة" أي: يدخلون طالبين للعلم ملتجئين للحلم ويخرجون أدلة هداية للناس، وأصل كلمة الرائد هو "الذي يتقدّم القوم يُبْصِرُ لهم الكلاًّ ومساقط الغيث" كما قال ابن منظور في كتابه المرموق لسان العرب. وقال الخليل بن أحمد في العين ومن أمثال العرب: "الرائد لا يكذب أهله، يُضْرَبُ مثلاً للذي لا يكذب إذا حَدَّثَ" (ص ٦٢٤).

والرائد في التربية هو الذي يسبق إلى سن سنن حسنة، وطرائق حميدة تخدم غايات وأهداف التربية والتعليم فينتفع منها الناس. والأوائل قلائل ولكن أثرهم عظيم، وذكرهم رفيع وهم طليعة تستحق الدراسة المتأنية المتخصصة من مثل القناعي لما له سابق إحسان في إنشاء المدارس وإرساء المعارف.

والفكرُ لغة هو إعمال الخاطر في الشيء أما التربية فهي زيادة ونمو وإصلاح. ونقصد بالفكر التربوي كل ما ورثناه ووصل إلينا من اجتهادات قولية وفعلية وتقديرية من إنتاج البشر في زمننا هذا أو فيما مضى وله صلة بالإصلاح التربوي كمبادئ وأهداف وممارسات.

ساهم القناعي في إرساء أسس النهضة التعليمية في الكويت فيسمى المعلم الأول وهو أول من جمع بين تدريس العلوم الدينية والعصرية وشارك في تشييد المدارس الكبرى في الكويت كالمدرسة المباركية والأحمدية وقام بتشجيع وله دوره الكبير في تأسيس المكتبة الأهلية، ومجلس الشورى الأول، وبلدية الكويت وشارك في إرسال البعثات الطلابية للخارج، وكان سبقه العظيم في تعليم المرأة ونصرة قضايا والمطالبة بحقوقها ومهاجمة العادات السلبية التي تمس من مكانتها.

الشيخ يوسف بن عيسى القناعي مرب قدير وهو واحد من أشهر الشخصيات التربوية الكويتية البصيرة ذات الجهود الإصلاحية الجاد بل إن شخصيته الإصلاحية هي الأكثر تأثيراً في مسيرة التعليم في الكويت خلال القرن الماضي. كان مفكراً ومربياً من الطراز الأول وأفكاره تشربت بالقيم الوطنية والعربية والإسلامية واستهدفت بناء الفرد

والمجتمع، واتسمت بالسبق والصراحة والوضوح والتسامح كما أن تربيته التحررية تقوم على دعائم الواقعية والمرونة والسعة. إن مسيرتنا الكويتية المعاصرة هي ثمرة من ثمرات كفاح الأوائل وموروثاتهم الحضارية المضيئة. قام السابقون بدور كبير في إيقاظ العقل، وتحلية الحقائق، وإيجاد مسيرة مستنيرة، ومستقبلنا لن يفارق ماضينا بل يستضيء منه قدر المستطاع ويضيف إليه بالإبداع ولهذا فإن الدراسة التربوية المنظمة للفكر التربوي الوطني من الضرورات الملحة لبلورة خطاب إصلاحى معاصر أساسه الأصالة وروحه الحداثة.

وقد كان القناعي مصيباً في نظراته الثاقبة وكما قال أوس بن حجر:

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ ال ظَنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

قراءات

فيما يلي صفحات تاريخية تصف الحياة الثقافية في الكويت قديماً كتبها العالم الجليل يوسف بن عيسى القناعي رائد النهضة الفكرية والاجتماعية في الكويت وهو مصلحها الأكبر بلا منازع. تم انتقاء المادة العلمية من كتابيه صفحات من تاريخ الكويت والملقطات واجتهدنا أحياناً في وضع العناوين وذكر أسماء السور القرآنية ورقم الآيات وبعض التعليقات في الهامش. هذه الورقة مقدمة أولى لدراسة تفصيلية نقوم بها عن الفكر التربوي الرائد عند يوسف القناعي في ضوء ما كتب عنه. نأمل أن نكون قدمنا للقارئ الكريم صفحات أمينة من تاريخ الكويت كي نأخذ منها الدروس والعبر فنستأنف مسيرة الأسلاف ونضيف لإسهاماتهم النافعة ونتعلم من تجاربهم المتنوعة.

آراء القناعي في المرأة

هذه مجموعة آراء نادى بها وعمل بمقتضاها المرابي والقاضي والمفتي الكويتي يوسف القناعي وذكرها في كتابه الملقطات وهو كتب جمع فيه اختياراته وترجيحاته التي يعتقد بها جازماً.

١. يجوز للمرأة أن تلي عقد النكاح لنفسها أو تأذن لغير وليها أن يزوجهها.

٢. لمس المرأة بغير شهوة لا ينقض الوضوء (ص ٢٦).

٣. أباح أبو حنيفة للمرأة وحدها وأباح لها المسير في الفياني والفلوات مسافة يومين ونصف يوم ولم

يكره لها ذلك (ص ٤١٥).

٤. لا يلزم المرأة أن تخدم زوجها في عجن أو طبخ أو كنس وغير ذلك من خدمات البيت وإن قامت بالخدمة من نفسها فهو أفضل لها كما فعلت فاطمة رضي الله عنها وأسماء بنت أبي بكر. انتهى عن المحلى لابن حزم (ص ٢٧٨).

٥. يجوز عند الأحناف أن تطلق المرأة نفسها من زوجها إذا اشترطت هي عليه ذلك.

٦. كتب القناعي هذا العنوان "هل المرأة إنسان أم سلعة؟! ثم ذكر التالي" إن كان العلم خيراً وفضيلة فلماذا يمنع عن المرأة؟ وإن كان شراً ورذيلة فلماذا يباح للرجل؟ ولا جواب على هذا" (ص ١٢٣).

٧. "وتأمل ما يجري بهذا الزمن في المجالس والأسواق من قذف النساء والرجال بلا دليل، بل لو رئي إنسان يمشي في الطريق وبقره امرأة لرموه بها، وكم من عفيفة فتلت وراحت ضحية لهؤلاء الجهال، الذين لا يخشون الله ولا يتقونه، بل تراهم في محاصماتهم وكلا الخصمين يرمي الآخر بالفاحشة بلا مبالاة ولا خوف من الله، وهذا كله من عدم إقامة الحدود على القاذفين فمنذ وجدنا لم نر ولم نسمع أن المحاكم أقامت الحد الشرعي في القذف بل القذف صار من باب العادات بين المتخالفين والمتخاصمين والحال أن القاذف لا تقبل له شهادة حتى يتوب من ذنبه" (ص ١١١).

يقول محمد الريمحي "في كُتيب صغير ولكن مهم، يتحدثنا الشيخ المرحوم يوسف بن عيسى ألقناعي، وهو رجل علم وسياسة، استطاع بحكمته أن يؤثر بأعماله وأفكاره في مسيرة الوطن الكويتي بعمق، ويساهم في مسيرة التطور في النصف الأول من القرن العشرين المنصرم، يتحدثنا عن قصة في ماضي الكويت الذي شهد جزءاً منه، وربما كانت القصة قد وقعت في بداية القرن الماضي أو أواخر قرن قبله، خلاصتها أن أحدهم طرقت باب جاره، في ذلك الحي المتلاصقة بيوته وضيق الطرقات في الكويت القديمة، فلما خرج إليه الجار مرحباً، قال له بنبرة جادة، عليك أن تغلق فتحة المطبخ المرتفعة في بيتكم والتي تطل على الشارع، فلما شرح له الرجل متعجباً، أن تلك الفتحة هي عالية وليست في متناول المرور الخارجي، وأنها مفتوحة حتى يخرج الدخان المتراكم من المطبخ إلى الخارج، وهو أي الدخان لا يضر أحداً من المارة، بل يتطاير إلى الأعلى، قال له الجار أعرف كل ذلك، ولكن مع الدخان يخرج صوت نساءك إلى الخارج! يدلل لنا المرحوم الشيخ يوسف بن عيسى من هذه القصة، وهو من أوائل المستنيرين في الكويت، إن بعض ضيقي الأفق يتعصب إلى درجة اعتبار (صوت المرأة) عورة!

وتمر السنون وتخرج المرأة الكويتية إلى العمل في القطاع العام والخاص، وتتدرج على مقاعد الدراسة، وتصل إلى أن تعمل مديرة وسفيرة وصحفية ومثلة ومغنية، ومصممة أزياء ومضيفة في أسطول الطائرات، وطبيبة لمعظم الأمراض المعروفة، وأخصائية ومدرسة، ومربية، ثم يأتي البعض بعد أكثر من ثلاثة

أرباع القرن ليقول مجدداً أن صوت المرأة عورة، وهنا وان اختلف المحتوى، فقد تشابه في اللفظ والرمز، وهو أن صوت المرأة السياسي، أي دورها في العمل السياسي ترشيحا وانتخابا غير مقبول، ويسرد القائلون بذلك عددا من الذرائع، لا تخرج عن منطق ذلك الرجل الذي أحتج على فتحة المطبخ^١.

آراء عامة

الآراء التالية من كتاب الملتقطات :

- " الشدة والغلظة بلا سبب شرعي هي بخلاف ما جاء [به] الدين، وما تراه في بعض المسلمين من الغلظة والقسوة فسببها الجهل بحقيقة الدين وتراهم ينتسبون إلى العلم بالدين وهم يجهلون روحه التي انتشرت إلى العلم بالدين فأخذت تدخل في دين الله أفواجا" (ص ٤٣).

- الخلاف بين السنة والشيعة يسير (ص ٤٦ ، ٨٩).

- "فأعياد الميلااد هذه كلها بدع لم تعرف في زمن السلف الصالح، وأما حكمها شرعا فهي على حسب ما يقترن بها. فإذا كان الاحتفال مقترنا بذكر السيرة الحسنة للمحتفل به كذكر ماله من الأعمال الطيبة والإحسان على الفقراء والمساكين، فهذه بدعة لا تصادم الشرع" (ص ٣٢٣).

- "من الثابت أن دولة الفرد عمرها قصير إلا إذا كانت دستورية أساسها الشورى، والعمل بأكثرية الأصوات، والله أمر نبيه بالمشاورة بقوله "وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (آل عمران: الآية ١٥٩) (ص ١٤٥).

- لا حياة للبلاد إلا بالمجالس الدستورية (ص ١٩١) .

- عندما تستطيع دولة أن تقول إن فقرائنا سعداء لا يشكون جوعا وسجوني تصفق أبوابها لا تجد من تأويه وقوانيني دقيقة لا تكلف الوطنيين حرجا عندئذ تستطيع أن تفاخر بدستورها وحكومتها.

- "أمر الله نبيه بالمشاورة، وهو ذلك النبي الذي لا ينطق عن الهوى، تعليماً لأمته كي تقتدي به، وتعمل بسنته، ولكننا يا للأسف خالفنا أمره، واستبد كل واحد منا برأيه، ولو أننا عملنا بالشورى في جميع أمورنا، لما وصلنا إلى هذه الحالة المزرية من الانحطاط، فتصور لو أن الأمة المحمدية جعلت

الشورى أساساً لأعمالها الدينية والدينية، هل تكون كما هي عليه الآن من التفرقة وتمزيق الشمل؟ ولكنها خالفت أمر الله واستبد الأمرء والوزراء وأصحاب النفوذ، مقدمين مصلحتهم الشخصية على مصلحة الأمة العامة فتفرقوا وتحالفوا وتقاتلوا وتمزقوا فهوت الأمة الإسلامية من عالي مجدها إلى الحضيض الأسفل سائرة كالأنعام [لا تعرف] الكخ من الكامخ ولا النافع من الضار، ولهذا حل الضرر بالمسلمين من عرب وعجم، وإلى الله المشتكى. أربعمئة مليون مسلم ليس لهم راية تأويهم ولا دولة قوية تحميهم، تسلط العدو على ديارهم وسامهم خسفاً، وهم صاغرون واستعمر بلادهم وهم ينظرون ويطلبون من الله الفرج، بلا سعي ولا عمل للحياة، وينتظرون خروج المهدي ليكشف كربهم، ويؤلف بينهم! تاركين قوله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } (الأنفال الآية ٦٠) فهيات لما تنظرون، فلا مهدي ينتظر، ولا رقي ولا عزة إلا بالعلم والعلم " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ - (التوبة الآية ١٠٥) " (ص ٩٣).

- ولو أن المسلمين سلكوا على طريق السلف الصالح في القرون المفضلة قبل أن يسد باب الاجتهاد لما حكم بالقانون في أغلب البلاد الإسلامية لأن السلف الصالح إذا حدث أمر لم يجدوا له نصاً بكتاب الله ولا في سنة نبيه اجتمعوا وتشاوروا بهذا الأمر معتمدين على أصول الدين العامة كقوله تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ" (البقرة الآية ١٨٥) وكقوله: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" (الحج الآية ٧٨)، والحديث: [لا ضرر ولا ضرار]. [ويسروا ولا تعسروا] وأفتوا باجتهدهم مع ملاحظة العدل والمصلحة ولكن مع الأسف أن الفقهاء سيما في القرون الوسطى جمدوا ولم يفكروا في هذا التطور في المعاملات على حسب الزمان كما فعل الغرب بل صار جل تفكيرهم الراتب والاستيلاء على الأوقاف لهذا فإن إثم هذه القوانين على الفقهاء عامة وعلى الأزهر خاصة لأنه المرجع في الدين لجميع المسلمين. والله أسأل أن ينههم من هذه الغفلة والركود" (ص ٤٨٢).

صفحات من الحياة الثقافية

من كتاب صفحات من تاريخ الكويت

المعارف والصناعة

"لم يكن في الكويت معارف تذكر منذ تأسست إلى سنة ١٣٣٠ هجرية، وإنما فيها كتاتيب يتعلم فيها الأولاد الصغار مبادئ الكتابة والحساب وقراءة القرآن على الطريقة القديمة، ويسمى المعلم مطوعاً،

والذي يحسن القراءة والكتابة قليل على حسب نسبة السكان، وأغلب أهل الكويت إذ ذاك أميون والمطوع نفسه لا يحسن التجويد ولا رسم الخط ولا يميز بين القاف والغين، ولهذا تجد الكويتي لا يفرق في كتابته ولا في نطقه بينهما، أما الحساب فقد عرفوا منه الجمع والطرح والضرب، أما القسمة فقد عرفها قليل جداً منهم، ولم تكن العلوم العصرية التي تدرس بالمدارس الآن تعرف، وعلماء الدين أغلب معرفتهم في الفقه والنحو والوعظ، ويسمى الواعظ محدثاً.

والصناعات بأسرها لا توجد لها مدرسة ولا معلم يأخذون عنه الصناعة إلى يومنا هذا، وإنما المشتغلون بالحدادة والنجارة والبناء والصواغ والنحاسون تلقوا معرفتهم بالممارسة لهذه الحرف.

وعند أهل الكويت أن المشتغل بهذه الصناعات ساقط الأصل^١، ولهذا يترفع النسب عن تعاطي الصناعة، ولكنهم لا يعيبون النسب إذا كان متسولاً يريق ماء وجهه، ولا أن يكون زبالاً أو كناساً، أو جصاصاً، أو سقاء، وهذا المعتقد الفاسد لا يختص بالكويتيين وحدهم بل يشمل النجدين وأهل البحرين وأهل قطر، والعجيب أنهم يترفعون عن مهنة شريفة لم يترفع عنها أنبياء الله الذين هو صفوة الخلق.

اللهم أرشد العرب لما به حياتهم، وأزل عنهم هذه الفكرة السخيفة، فكرة الفخر بالعظام النخرة وبالأصول التي ما لها أصل عند الله ورسوله، فالله يقول: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (سورة الحجرات: الآية ١٣)، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: [لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود، الناس من آدم وآدم من تراب]. ويقول الرسول لما تلي عليه قوله تعالى: "وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ" (الأنفال الآية ٦٠) [صدق الله وكذب النسابون]^٢. والعجيب المستغرب الذي لا يقبله العقل السليم أن كتب الأنساب تسلسل النسب إلى آدم، فكان المؤلف في النسب قابلة تقييد المولود من بني آدم إلى زمننا هذا!! وانظر نسب السلطان عبدالمجيد في كتاب الأنساب تر سلسلة نسبه إلى آدم.

فيا أخواني وأبناء جنسي كونوا عصاميين لا عظاميين وجاروا الأمم الحية بصناعاتها، فلا حياة لكم إلا بالأخلاق العظيمة، والصناعات المفيدة، أليس من النقص أن الأصيل لا يحسن صنع إبرة يخيط بها ثوبه، والأوروبي طبق الأرض بعلومه وصناعاته فطار مع الأقطار، وغاص في لجج البحار، واستولى على الممالك وما

^١ كان المجتمع العربي عموماً يعيب على الصناعة والمهن اليدوية ويزدرئها وكانت هذه المهن سبباً في عدم التزاوج في الكويت وغيرها (المريني، ١٩٩١ م، ص ١٥٦ - ١٥٧).

^٢ (كذب النسابون) يعني أنهم يدعون علم الأنساب والبشر من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله. وهذا الحديث قال عنه الألباني أنه موضوع (انظر موقع الدرر) وصححه السيوطي في الجامع الصغير، ج ٢، ص ٩٠.

فيها من الأقوات وصرنا نعيش تحت رحمته محافظين على الأصل كي لا يتدهور بالصناعة.. فأف وتف لهذا العقل السقيم وأقول على هذه المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون.

السبب في بناء المدرسة المباركية

كان الشيخ محمد بن جنيدل يقرأ البرزنجي^١ في محلنا وكان المجلس محتشداً بالمستمعين، فلما انتهى المولد قام المرحوم السيد ياسين طباطبائي وألقى كلمة خلاصتها: "ليس القصد من مولد النبي تلاوة المولد وإنما القصد الاقتداء بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الأعمال الجليلة. ولا يمكننا الاقتداء به إلا بعد العلم بسيرته. والعلم لا يأتيكم اليوم إلا بفتح المدارس المفيدة، وإنقاذ الأمة من الجهل". وبعد ما انتهى كلامه تدبرته فإذا هو الحق فأخذت أفكر في الوسيلة التي يكون بها فتح مدرسة علمية. فرأيت أن أكتب مقالاً أبين فيه فضل العلم والتعلم، ومضرات الجهل وقيمة التعاون على هذا المشروع فكتبت هذا المقال وابتدأت بالتبرع لهذا المشروع بمبلغ ٥٠ روبية، ليست في ملكي حينئذ وإنما دفعتها بعد أن يسرها الله لي، ثم ذهبت إلى المرحوم سالم بن مبارك الصباح وتلوت عليه المقال، فأجابني بأنه لا يمكن أن يقوم بهذا الأمر إلا الحاكم وكان الحكم حينئذ بيد والده مبارك. وخرجت منه قاصداً محل شمالان بن علي بن سيف ولم أجد هناك إلا إبراهيم بن مضاف فتكلمت معه عن المشروع فتبرع بمائة روبية، وبعد هنيهة جاء شمالان وأخبرته فحبذ هذا العمل ولكنه لم يظهر لي غايته ولم يكتب شيئاً، فخرجت من محله منكسف البال، لأنه الصديق الحميم الذي يسمع كلامي ولا يخالفني في شيء. ولكنه حين قيامه من محله ذهب إلى دكان أولاد خالد الخضير، وأخبرهم بالخبر فاستبشروا به وتبرعوا بخمسة آلاف روبية وتبرع شمالان بمثلها، وطلبوا من إبراهيم بن مضاف الزيادة فتبرع بخمسمائة روبية. ثم خاطبوا هلال المطيري فتبرع بخمسة آلاف روبية، ثم جرى الاكتتاب فحصل من بقية أهل الكويت ١٢٥٠٠ روبية ثم كتب آل خالد وناصر المبارك وشمالان وهلال إلى قاسم وعبدالرحمن آل إبراهيم فتبرع قاسم بثلاثين ألف روبية وتبرع عبدالرحمن بعشرين ألفاً فصار مجموع رأس مال المدرسة ٧٧٥٠٠ روبية، وتبرع أيضاً أولاد خالد الخضير ببيت كبير للمدرسة. وعينت لمباشرة البناء، واشترينا بيت سليمان العنزري. وبيتاً آخر بقيمة زهيدة. وحصل بيت وقف حرب تحت إشراف آل خالد أدخلناه في المدرسة وتعهدت المعارف بدفع قيمة أضحيتين بحسب نص الموقف كل سنة، فصار مجموع قيمة البيوت التي ألحقت في بيت خالد ٤٠٠٠ روبية وشرعنا في البناء سنة ١٣٢٩ هجرية وانتهى في رمضان من هذه السنة وبلغ مجموع ما

^١ البرزنجي: لعله جعفر بن إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي ((١٢٥٠ . ١٣١٧ هـ)) من علماء المدينة المنورة ومن

مؤلفاته المطبوعة كتاب قصة المولد النبوي.

صرف على البناء والأبواب والأخشاب نحو ١٦٠٠٠ روية، وفتحت المدرسة للتدريس أول المحرم سنة ١٣٣٠ هجرية وعينت ناظراً لها والمدير السيد عمر عاصم وسارت المدرسة سيراً حسناً نحو ٣ سنوات ثم عزلني مبارك الصباح عنها. وحقته أمام الأعضاء أن محلي مأوى للأجانب وهو لا يأمن مني.. وأما الحقيقة فإنه طلب مني أن يكون الأخ حسين كاتباً عنده فالتمست منه العفو عن ذلك. فغفى وفي خاطره شيء عن إبائي، ثم أمر ابنه سالماً أن يأخذ حسيناً معه في غزو العجمان لما حاصروا الإحساء، فرجوت من سالم أن يقنع والده بتركه. فلم يقصر وسعى بكل جهده حتى أقنعه.

ولما خرج سالم في غزوته هذه لمساعدة عبدالعزيز السعود أمر أعضاء المدرسة بعزلي، فجاءني المرحوم حمد الخالد ليلاً مشفقاً علي وقال لي: أرجوك أن تذهب بكرة إلى مبارك الصباح أنت وأخوك حسين، وتطلب منه العفو والسماح وتقول له: ها أنا وأخي تحت أمرك للخدمة، وتكتب أيضاً لأعضاء المعارف الاستقالة كأنها منك لا بأمر مبارك فأجبتته لو أعلم أنني أخطأت على أدنى أحد لذهبت ألتمس منه العفو والصفح، ولكني لم أذنب فكيف أطلب عفواً بلا ذنب صدر مني. وأما الكتابة للأعضاء بأن الاستقالة صدرت مني فأعدها كذباً، ولا أفترى على الله، بل أقول: "مبارك عزلي بصراحة"، ثم أخذ يقول: "الله يهديك!.. الله يهديك!.. سلم النظارة للشيخ يوسف الحمود بالغد". فسلمتها له بنفس طيبة، فكان الخير فيما اختاره الله، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

علماء الدين في الكويت

لا بد لي من كلمة في علم الدين قبل الشروع بذكر العلماء.

ورد في الحديث الشريف: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَرِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ" الخ [رواه البخاري].

ومما لا شك فيه أن العلماء يموتون كغيرهم، فلماذا تقدمت جميع العلوم حتى صارت علماء الأزمان الماضية لا ينسبون إلى المتأخرين في سعة العلم والمدارك، إلا علماء الدين فإنهم في تأخر وانقراض؟ الذي أراه أن السبب في ذلك هو أن الحكومات الإسلامية أعرضت عن أحكام الشرع، وجعلت الحكم للقانون فحل محل القضاة الشرعيين قضاة القوانين وحل محل المفتين رجال المحاماة وصار رجال الدين لا يعيشون إلا من أوساخ الصدقات. فالذي عنده نفس أبيه لا يقبل هذه الحالة الدنيئة، فلهذا أخذ العلم الديني ينقرض والسبب هو الإعراض عنه بعكس ما كان من الإقبال عليه في الزمن السابق وإليك ما يذكره الإمام الغزالي في الإحياء واعتراضه على أهل زمنه بترك الطب والإقبال على الفقه. قال: إنكم من بلد ليس فيه طبيب إلا من أهل الذمة، ولا تجوز شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه. ثم لا نرى أحداً يشتغل به ويتهافتون

على علم الفقه ولا سيما الخلافات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال ما لا قائم به، وهل لهذا من سبب إلا أن الطب ليس يتيسر به الوصول إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم على الأقران والتسلط على الأعداء.

فمن كلام الغزالي يظهر لك ما قلناه من أن السبب في انقراض العلم الديني إعراض الحكومات الإسلامية عن الأحكام الشرعية واستبدالها بالقوانين الوضعية، والناس هم الناس وقس الحاضر على الماضي تجدهم على حد قول القائل:

أظهروا للناس نسكاً وعلى الدينار داروا

وهذا الحال هو الغالب على الناس والنادر لا يبني عليه حكم. وإليك طائفة من علماء الدين في الكويت:

(١) السيد أحمد بن السيد عبدالجليل طباطبائي:

هو رجل العلم والورع تصدى للتدريس نحو ٢٠ سنة ولم ينقطع عنه إلا بمرض موته. استفاد منه الكثير من أهل العلم فمنهم الشيخ خالد بن عبدالله العدساني، ويوسف اليعقوب، وعبدالوهاب الغرير. وتوفي حوالي سنة ١٢٩٥ هجرية.

(٢) الشيخ أحمد بن محمد الفارسي:

رحل في طلب العلم على نفقة سليمان البدر القناعي وتعلم في كوهج ومسقط ومصر، وعاد إلى الكويت بعد مضي سبع سنين.

كان آية في الذكاء والحفظ، فصيح اللسان لا يتطرق لسانه اللحن، حسن الصوت متوغلاً في علم الأدب، ويحفظ الكثير من الشعر، إذا جلس في مجلس كثر المستمعون لما ينثر من الأدب وإذا وعظ امتلأ المسجد^١ من الخلق لسماع وعظه، وقد حصل له من الإقبال ما لم ينله أحد في الكويت من طلبة العلم،

^١ اقترح الشيخ يوسف القناعي مجموعة وسائل لتفعيل الخطبة في المسجد منها الاقتداء بالسلف الصالح منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ومتابعة الأحداث الجارية من مثل حوادث الجماعة، فساد الشباب، سوء المعاملة في التجار وبيان الضرر منها على المجتمع (البعثة ج ١، ص ٢٦٢).

وأكثر علمه في الأدب والوعظ، ولكنه مع الأسف لم يتصدر للتدريس ولم تنتفع منه الكويت، حتى أولاده لم يعلمهم ولا أحسن تربيتهم، ولهذا يقول فيه الشيخ عبدالعزيز العلي من قصيدة طويلة:

فالشيخ مهما رأينا من سماحته نراه للعلم مناعاً وحباساً

وكان إذا وجهت إليه اللائمة بعدم التعليم يقول: إذا تصديت للتدريس أقبل إلي الأفاقون من الطلبة وليس لهم ملجأ يأوون إليه ولا نفقة يستعيشون منها. توفي سنة ١٣٥٤ هجرية بعد أن تجاوز التسعين.

(٣) الشيخ خالد بن عبدالله العدساني:

طلب العلم في بادىء أمره عن يد والده عبدالله، ثم واطب على التعليم عند السيد أحمد بن السيد عبدالجليل، ثم تصدى للتعليم إلى أن كف بصره.

كان فقيهاً نحويًا، وله يد في الشعر إذا بدت الحاجة إليه وعين إماماً وخطيباً في جامع السوق واستمر به إلى أن توفي سنة ١٣١٨ هجرية، وقد رثاه عبدالله الفرج بقصيدته التي مطلعها:

أراع لخطب بدى في الوجود وقوعاً كوقع مواضي الحدود

وكيف وقد ضرمت في البلاد مصائبه النار ذات الوقود

على مثل خالد فليبيك من يحن عليه حنين الرعود

إلى أن قال بتاريخ الوفاة:

وقد قلت لما مضى أرحوا دعتة جنان لأجل الخلود

(٤) الشيخ عبدالرحمن الفارسي:

طلب العلم في مكة ورجع إلى الكويت، وشرع في التعليم في النحو والفقه، ومن استفاد منه الشيخ عبدالله بن خالد العدساني، وصار خطيباً في جامع الخليفة، ثم لم تطب له الإقامة في الكويت فسافر عنها خمسين سنة متنقلاً في بلاد الله الواسعة وأكثر إقامته في كربلاء، وكان قد تزوج في العراق ورزق ولداً وعاد إلى الكويت بعد نصف قرن واستقام خمس سنين حتى توفاه الله سنة ١٣٦٠ هجرية وله من العمر ما يقارب تسعين سنة.

كان لطيف المحضر صاحب نكتة. سمعته يقول: دخلت على الزهاوي (والد جميل^١ المشهور) فأنشدني:

ابن ابننا من ابننا أحب الابن قشر والحفيد لب
فأجبتة حالاً:

وكل كردي وإن تنبا فهو إذا حققت فيه دب
فضحك وقال: قاتلك الله.

(٥) الشيخ مساعد العازمي:

سافر إلى مصر لطلب العلم، ومكث بها سنتين ورجع إلى الكويت وأخذ يدرس في فقه مالك والنحو والعروض ثم اضطر لكسب المعيشة فتعلم صفة التلقيح ضد الجدري واستفاد منها في توسعة معيشتة وفي آخر عمره هاجر إلى البحرين وتوفي بها.

(٦) الشيخ عبدالله بن خالد العدساني:

^١ ورد في الموسوعة العربية العالمية "الزهاوي (1279- 1354) هـ ، ١٨٦٣ - ١٩٣٦م). جميل صدقي بن محمد فيضي بن الملا أحمد بابان الزهاوي. شاعر عراقي كردي الأصل. وقد اشتهر بالزهاوي لأن جدّه هاجر إلى زها ببلاد فارس، وسكنها عدّة سنوات، وتزوج بسيدة زهاوية جاء منها بابنه جميل صدقي. وأجداده البابان أمراء السليمانية (شرقي كركوك). من دعاة الإصلاح والتجديد في العصر الحديث، نظم الشعر بالعربية والفارسية في حياته.

اعتمدت نشأته الثقافية على التعليم الأسري وعلى الحلقات المسجديّة والاطّلاع الحر. وسافر كثيرًا فتنوعت تجاربه وانصقلت خبراته، تعلّم اللغة الفارسية في صغره وقد أجادها حتى ترجم رباعيات الخيام. عمل الزهاوي في مجالات الخدمة العامة والتدريس والسياسة فشغل مناصب متعددة. فكان أستاذًا للفلسفة الإسلامية في المدرسة الملكية بالآستانة وأستاذًا للأدب العربي في دار الفنون بالآستانة، كما شغل منصب عضو محكمة الاستئناف ببغداد، وعضو مجلس المعارف ونائبًا في مجلس النواب العثماني، ونائبًا عن بغداد، ورئيسًا للجنة تعريب القوانين في بغداد. وظل عضوًا بمجلس الأعيان العراقي حتى وفاته. ويعدّ الزهاوي من رواد الشعراء الذين انفتحوا على الحياة وبشروا بالتجديد. كما كان عالما بقدر ما هو أديب، وقد انعكس أثر ذلك في شعره " باختصار.

تعلم الفقه على والده خالد، والعربية على عبدالرحمن الفارسي وتصدى للتدريس بعد أن كف بصر والده واستقام نحو عشرين سنة مثابراً على التعليم، واستفاد منه خلق كثير وعين مفتياً في زمن سالم المبارك، ولما توفي عبدالعزيز العدساني صار هو القاضي إلى أن توفاه الله سنة ١٣٤٨ هجرية.

(٧) السيد سليمان ابن السيد علي:

تغرب لطلب العلم إلى الإحساء، وكان بها في محل الحفاوة لصلاحه واجتهاده في الطلب. وأدرك في مدة قليلة ما لا يدركه غيره في زمن طويل، ورجع إلى الكويت وشرع في التعليم، وحصل عليه إقبال من وجهاء الكويت، ولكن المنية عاجلته وهو في مقتبل العمر ولم تفسح له حتى نرى ثمرة ذلك الاجتهاد والإخلاص.

وما الدهر والأيام إلا كما ترى رزية حر أو فراق حبيب

(٨) ملا أحمد بن محمد القطان:

هو رجل تقي كفيف البصر تغرب لطلب العلم إلى الإحساء وفارس فاستفاد من هذه الرحلة سيما في علم الفقه، وكان لا يمل من مجالسة طلبة العلم والمذاكرة معهم، عين إماماً في مسجد عبدالعزيز المطوع وبقي فيه إلى أن توفي سنة ١٣٢٧ هجرية.

(٩) الشيخ عبدالله بن خلف:

رحل إلى الزبير لطلب، وتعلم عند الشيخ عبدالله بن حمود، والشيخ صالح المبيض، والشيخ محمد بن عبدالله العوجان، ورجع إلى الكويت وشرع في التعليم، وكان محله مدة حياته مجمعاً لطلبة العلم صباحاً ومساءً، واستفاد منه كثير من طلبة العلم في الكويت، وتولى القضاء سنة ١٣٤٨ هجرية. وكان مثلاً للعفة والنزاهة والعدل، ولم نعرف أحداً تولى القضاء وأدى واجبه مثله. وكانت توليته القضاء بإلزام من الشيخ أحمد الجابر لأنه متعين عليه القيام بهذه الوظيفة حيث لم يوجد من يمثله في العلم والصلاح. واستقام في القضاء محتسباً لم يأخذ أجره عليه، وتوفي سنة ١٣٤٩ هجرية في رمضان وصار يوم موته مصيبة كبرى على أهل الكويت.

(١٠) الشيخ محمد بن فارس:

هو الرجل الوحيد في الكويت المشهور بالتقوى والنزاهة والورع كان في أول عمره يعلم الصبيان القرآن. ثم اشتغل بالتجارة فكان فيها مثلاً صالحاً بحسن المعاملة على الوجه الشرعي، وريح منها بما أغناه عن ذل الحاجة للناس، وكان عليه الرحمة رجلاً مسموع الكلمة محبباً لدى عموم الكويتيين، تعلم عنده الشيخ عبدالله

الخلف الفقه في أول طلبه، ولا أدري مبلغ تحصيل الشيخ محمد من العلوم، والمسموع أن علم الفقه هو الغالب عليه بالدراية.

توفي سنة ١٣٢٦ هجرية حميد السيرة مرضياً عنه.

(١١) الشيخ محمد بن إبراهيم الغانم:

رحل إلى الإحساء لطلب العلم، وساعده توقد ذكائه، حتى إنه أدرك ما لا يدركه غيره في مدة سنين ورجع إلى بلاده وشرع في التعليم محتسباً لله، وأدركته الوفاة وهو في ريعان الشباب، رحمه الله.

(١٢) الشيخ محمد بن جنيدل:

طلب العلم في الكويت عن يد الشيخ عبدالله العدساني والشيخ عبدالله بن خلف، واستفاد فائدة كبيرة لكثرة ملازمته لمحل الشيخ عبدالله بن خلف، وكان لا يفارق مجلسه حتى توفاه الله حوالي سنة ١٣٤٢ هجرية.

(١٣) الشيخ يوسف بن حمود:

طلب العلم في الكويت عند الشيخ مساعد العازمي، واستفاد منه فائدة كبيرة، فاشتغل في التجارة فلم يوفق فيها، وعين مدرساً بالمدرسة المباركية، وكان ملازماً لمحل الشيخ عبدالله الخلف لما به من المذكرات العلمية، وبعد وفاة الشيخ عبدالله لزم بيته، وانقطع عن مخالطة الناس حتى توفي سنة ١٣٦٥ هجرية"

مناقب الكويتيين

"أهل الكويت مناقب يمتازون بها عن غيرهم، وإن كانت بلادهم لا تخلو من الطيبين رجال الفضل والإحسان إلا أن الكويتيين نسبة لحالتهم المالية وقلة عددهم يفوقون غيرهم في ذلك.

وإليك بعضاً من مناقبهم الجليلة:

(١) التآلف والتوَادد فيما بينهم فكأنهم بيت واحد وإن اختلف الجنس والنسب.

(٢) لا تجد التحاسد والتدابير والمشاغبات بينهم.

(٣) لا يجري بينهم تقاتل ولا تضارب، وإذا جرى شيء من بعض السفهاء لم يرفع الأمر إلى الحاكم

بل يتوسطه خيارهم ويزال الخلاف.

(٤) مساعدات بعضهم لبعض متواصلة، للمكوبين والمعوزين من الفقراء واليتامى والمساكين وأبناء السبيل وتجد المساعدات لهؤلاء البائسين لا تنقطع يوماً.

(٥) إكرام الضيف، والأجنبي إذا نزل بساحتهم لا يعد إلا كواحد منهم.

(٦) منازلهم في رمضان مفتوحة لإفطار الصائمين من الفقراء والمساكين، وتجد الفقير في رمضان كالشاة في أيام الربيع.

(٧) لا تجد في الكويتي كبرياء ولا يحتقر الناس مهما كانت منزلته من الرفعة، وهذه الخصلة الشريفة تشمل الأمير والمأمور وأصحاب الوظائف الحكومية.

(٨) جميع الأعمال الخيرية^١ يعملونها بتكتم ولا يجبون أن يطلع عليها أحد ولا يتباهون ولا يتفاخرون بهذه الأعمال بل تنسى كأن لم تكن.... والله أسأل أن يتم عليهم نعمته ويوفقهم لرضائه.

الخرافات في الكويت

"إن سواد العامة في الكويت يعتقدون بخرافات لا يقبلها العقل، سببها الجهل الذي جعلهم يقبلون ما هب ودب.

من هذه الخرافات (أم حمار) يعتقدون أنها على شكل امرأة إلا أن لها رجل حمار، وأنه حينما كان العبيد يستقون خارج البلد قبيل الفجر كانوا يرونها تصحبهم كأنها واحدة منهم، فإذا عرفوها فروا منها راجعين إلى البيوت.

ومنها (الطنظل) وهو يوصف بطول الجسم طويل الخصا بحيث إذا مشى يسمع لها صوت، وهو يتمثل للسايرين في الليل ويلعب عليهم ولكن الخيلة في دفعه أن يكون مع الساري مسلة فإذا رآه صاح هات المسلة. فهو يهرب منها خوفاً على خصيته من غرز المسلة فيها.

ومنها (الدعيدع) وهو أن يرى الإنسان في الظلام شيئاً كالجمر ملقي في الطريق، فإذا اقترب منه انتقل إلى محل آخر.

ومنها (السعلو) وهو بصفة عبد نوبي طويل، وله أنياب طويلة، يختطف الأولاد الصغار ويأكلهم (وقد جرى في سنة ١٣٢٧ هجرية عند السواد الأعظم فزع شديد من هذا السعلو وسببه أنه غرق ولد في البحر، ولم

^١ قال القناعي في الملتقطات واصفاً الكويت " لها من الأعمال الإنسانية ما يعجز القلم عن حصره" (ج٦، ص

يره أحد فشاع أن السعلو أكله، وتلا ذلك فقدان ولد سعود بن فهد وهو صغير فتحقق عندهم أن السعلو أكله، ولكن الولد بعد عشرين سنة جاء الكويت وأخبر أنه سرقه رجل من أهل البصرة وباعه إلى رجل من أهل البادية في شرق الأردن، وهذا الذي اشتراه أمر أولاده عند موته أن يرجعوا الولد إلى أهله).

ومنها (أبو درياه) عند أهل البحر. وهو بصفة إنسان يسمعون صياحه في البحر كأنه غريق فإذا أنقذوه أكل ما قدم له. وإذا غفل عنه رجع إلى البحر وربما أتلّف شيئاً من السفينة.

وهذه الخرافات زالت الآن بسبب انتشار العلم ولم يبق لها أثر والحمد لله "

المرأة في الكويت

"المرأة شقيقة الرجل، وهي معه على حد سواء، لا تنقص عنه إلا في الشجاعة والثبات، وسرعة الانفعال فلهذا نجد الرجال والنساء في بلاد العلم يتبارون في جميع الأعمال عدا الجندية والقيادة في الحرب، وتجدهم في بلاد الجهل كالأنعام السارحة لا يهتمهم إلا المرعى، ويسوقهم الراعي كما يريد. ولكن رجال الكويت وإن نشأوا في بلد جاهل فهم أرقى من النساء بكثير، وأرى أن السبب في ذلك أولاً: كثرة أسفار الرجال ومخالطة الأجانب، وثانياً: انتشار الجرائد والمجلات الدينية والأدبية والسياسية. وثالثاً: فتح المدرسة المباركية للبنين سنة ١٣٢٠ هجرية بينما لم تفتح مدرسة للبنات إلا سنة ١٣٥٧ هجرية ولهذا تجد بوناً شاسعاً بين الرجل والمرأة في الكويت سيما في الكتاب والأدب والشعر وحسن التفكير فيما هو صالح للوطن وحتى الآن لم تظهر بالكويت امرأة عاملة ولا كاتبة ولا شاعرة ولا مفكرة ولا.. ولا.. بل هي باقية على الفطرة من حيث الخمول والأمية فلا تقرأ ولا تكتب، واللواتي يقرآن ويكتبن -إذا استثنينا بنات المدارس الجدد- فهن نواذر جداً"

منزلة المرأة عند الرجال وأعمالها ومعتقداتها

"ليس للمرأة قيمة عند الرجال سيما المتقدمين منهم فهي عندهم من سقط المتاع، فإذا ذكرت في خطاب قال المتكلم لمخاطبه: أكرمك الله. عند ذكرها وترغم الفتاة على زواج من لا تريده سيما إذا كان الزوج ابن عم لها، وإن كان قبيح الوجه ساقط الأخلاق. والذي بلغ من العمر ٨٠ سنة له أن يتزوج بنتاً لها من العمر ٢٠ سنة ويرغمها الولي عليه إذا كان غنياً، وإن كرهت عشرته.



وتجد في وصايا الكويتيين حرمان الإناث، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، فإذا أوقف ملكاً على ذريته خصصه بالذكور دون الإناث وإن كن أولى بالإحسان لفقرهن. وإذا أوصى بثلاث في سبيل الخيرات جعله بيد الولد دون البنت، وإن كانت هي أتقى منه وأصلح.

وسعادة الزوجين بعد الدخول نادرة فهي من باب يا نصيب يكسب مرة ويخسر ألف مرة لأنه لا يراها ولا تراه، وكلا الزوجين لا يعرف من أخلاق زوجه شيئاً، وكم من رجل نفرت منه زوجته من أول ليلة، وكم من زوجة تركها زوجها من ليلة الزواج. وإليك واحدة من هذه الحوادث: تزوج رجل من أهل البحر بامرأة وزف إليها بثياب مبتذلة وهيئة كريهة، فلم يأخذ لها زينته ولم يعدل هندامه ولم يمشط شعر وجهه، وهو مع هذا الإهمال قبيح الوجه، فلما رآته الزوجة تحصنت على نفسها بسم الله كأنه شيطان، وفرت إلى باب الدار صارخة بقولها لأمها: افتحي الباب. فلما فتحت أمها الباب قالت لها: "أختار الموت ولا هذا الزوج، ردوا عليه صداقه، لا أريده" فرد عليه الصداق وطلقها.

وهذه المرأة كانت ثيباً، وعندها شجاعة وليس لديها ولي تخافه، فكيف حال الصغيرة التي يأخذها الحياء أن تبدي مصيبتها بزواج تكره عشرته ولا يلائمها، ويا ويلها إن أبدت ذلك.

وأين هؤلاء من حديث ثابت بن قيس لما كرهت امرأته عشرته ورفعت أمرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: [طلقها]. وأمرها أن ترد عليه الحديقة، وهي صداقها منه.

وتقوم المرأة الكويتية بجميع خدمة البيت من طبخ وخبز وطحن وكنس وغسل وعناية بالحيوان وتربية الأطفال وخياطة ثياب الزوج والأولاد. والمرأة الغنية ليس عليها شيء من هذه التكاليف سوى الإدارة البيئية.

وليس بيد المرأة صناعة تعيش منها إذا أحوجها الزمان بل تخدم في بيوت الأغنياء أو تسأل. واللواتي يحسن الخياطة والتطريز قليلات بالنسبة للاتي مجهلن ذلك.

وتخرج المرأة لقضاء حاجتها من السوق أو للزيارة متحجبة، والسفور لا يعرف بالكويت.

والخرافات شائعة بين أغلب نساء الكويت ويعتقدن بأن الساحرة تطير في الليل، وأن الزار الحبشي الزار النوبي مما لا شك فيه، وإذا أصيبت المرأة بأمراض عصبية نسبوها إلى الزار وشيخة الزار هي التي تقوم بخدمة المريضة في دهن جسدها وفي إقامة حفلة جامعة من النساء اللاتي يدخل فيهن الزار، يغنين ويرقصن ويضربن بالدفوف ومن هذه الزيران من هو سيد وشيخ كبير وطفل صغير وعجوز شوهاء. والذي جعلهن يعتقدن في هذه الخرافات هو شفاء بعض المريضات في هذه الحفلات وقد سألت المرحوم السيد رشيد رضا صاحب المنار عن هذا الشفاء فأجاب بأن بعض الأمراض العصبية قد يوافقها الطرب والرقص، وقد أصيبت امرأة أعرفها بمرض السل، وطال عليها المرض، فأشارت عليها شيخة الزار أن تعمل لها حفلة. وحينئذ يدخل فيها الزار

وتلتمس منه الشيخة الشفاء وترضيه بما يريد حتى يشفي المرأة، فعمل لها حفلات عديدة ولم ينزل الزار، ولكنها في آخر حفلة أقيمت لها أخذها طرب من الغناء والتصفيق، فهزت رأسها ورقصت وهي جالسة ففرح نساء الحفلة بنزول الزار، وجاءت الشيخة تسترضيه ليبين مراده، فلما أجابت المرأة، ليس بي زار ولكن أخذتني خفة فرقصت، وأشاع نساء الحفلة أن الزار نزل بها وتكلم، وآخر الأمر أن المرأة لم تشف وماتت بدائها.

وإليك حادثة غريبة: أعتق المرحوم عبدالرزاق الدوسري عبدة له فأخذت بعد وفاته تخدم في البيوت لتعيش، فجلست عند شيخة الزار تخدمها، وبعد سنين ماتت الشيخة، فقالت لها بنات الحفلة: قومي مقامها فوافقت على ذلك، وهي تقول: "إنني لا أعرف شيئاً عن الزار سوى أنني رأيت الشيخة تدهن المريض وتأخذ البخور وتحرك شفيتها عليه ولا أدري ماذا تقول ثم تدير البخور على المريضة" فهذا مبلغ علمها في الزار ولكنها صارت شيخة تدهن المريض وتحرك شفيتها على البخور وها هي ذي يشار إليها بالبنان.

وتذكرني هذه الحكاية بما يقال من أنه مر في العراق في الزمن الغابر رجل عابر سبيل على مقام يزار وتندر له النذور فجلس عند القيم ليستريح من تعب السفر، ولما عزم على الرحيل أعطاه القيم حملاً هزياً ليركب عليه حتى يصل إلى داره. فبعد أن مشى عدة أميال انقطع الحمار من التعب ومات، فحفر له عابر السبيل قبراً دفنه فيه وأخذ يندبه وينعاه فجاء قوم من المعدان وسألوه عن صاحب القبر، فأجابهم أنه سيد خير، فبنوا له حالاً حائطاً وأخذوا يحترمونه ويزورونه، فبلغ الخبر صاحب المقام فجاء لتحقيق الخبر، فإذا صاحبه عابر السبيل هو القيم فسأله: أنى لك هذا السيد الخير، فأجابه أنه هو الحمار الذي أعطيتني، فهمس إليه وقال له اسكت فإن الذي عندي هو أبوه!..

خرافات وأوهام تعيب العقل والعلماء

من كتاب الملتقطات

السبب في تأسيس الأحمدية

لما ولي الحكم المرحوم أحمد الجابر، طلب مني إصلاح المدرسة المباركية وكانت إذ ذاك يعلم فيها تجويد القرآن ومبادئ القراءة والكتابة والحساب والفقهاء. فوافقت على ما أراد بشرط أن لا يتدخل أعضاء المدرسة في منهج التعليم لأني تحملت معهم المشاق حينما كنت ناظراً عليها فقال لي تذاكر معهم بالذي تريد من منهج التعليم فعرضت عليهم إدخال العلوم العصرية، واللغة الإنكليزية فلم يوافقوا فكرهت إعادة

الشقاق بيني وبينهم، ولهذا أعرضت عن المباركية وتذاكرت مع بعض وجهاء الجماعة في محل السيد خلف النقيب فأشار علينا المرحوم عبد العزيز الرشيد بأن ندع المباركية على ما هي عليه ونشرع في تأسيس مدرسة تجري على ما نريده فاستحسن الحاضرون ما أشار به ثم تقدم المرحوم حمد الصقر وتبرع بألف روبية سنوياً، وتبرع الباقون كل واحد منهم بـ ٢٥٠ روبية وهم أحمد الحميضي ومرزوق الداود وأحمد الفهد ومشعان الخضير والسيد عبد الرحمن النقيب وأنا. ثم أخبرنا حاكم الكويت فتبرع بـ ٢٠٠٠ روبية سنوياً.

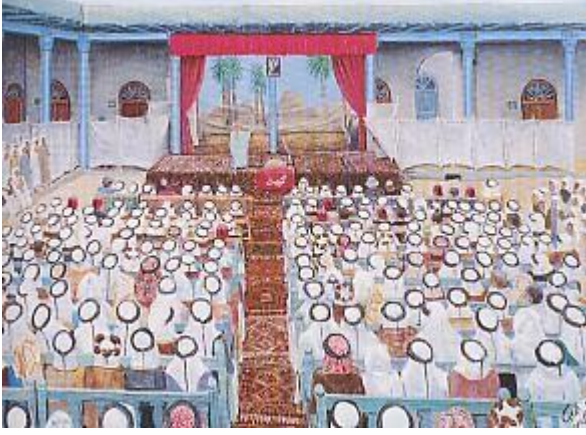
ثم قام بطلب الإعانة مشكور المساعي في الإعانات الخيرية في الكويت وهو سلطان بن إبراهيم الكليب فاجتمع لدينا ما يقارب ١٣ ألف روبية سنوياً وهذا المبلغ في ذلك الوقت لا يستهان به لأن أعلى مدرس صار عندنا يأخذ راتباً مائة روبية فقط ثم طلبنا من المرحوم أحمد الفهد آل خالد بيت الجمعية الخيرية الذي أوقفه أخوة المرحوم فرحان فسمح لنا في بناء مدرسة من ساحل البحر أمام الجمعية الخيرية فسمح بذلك ثم شرعت في بناء الأحمديّة فبلغ مجموع ما صرف في البناء مع تصليح الجمعية ٧٥٠٠ وفتحت المدرسة سنة ١٣٤٠هـ فصار مدير التعليم بها المرحوم عبد الملك المبيض ويساعده الأستاذ عبد العزيز الرشيد في العربية وعلم الدين وتبرعت بالنظارة عليها وجمع المساعدات السنوية من أهل الفضل ودفع رواتب المعلمين ثم تبرع بعد حين العلامة حافظ وهبة بالتعليم بما مجاناً وجمعت المدرسة في منهاجها العلوم العصرية والدينية واللغة الإنكليزية وسارت سيراً حثيثاً بنشاط حتى صار أول الامتحان في محل المرحوم السيد خلف النقيب لسعته وحضر حاكم الكويت ووجهاء البلد فشاهدوا ما أبهرهم من النجاح وأحسن الأمير بالجائزة على السابق من التلامذة واستمرت المدرسة على هذا السير الحسن وكان لزاماً على المحسنين لما رأوا النجاح أن يزيدوا في إحسانهم لتتسع دائرة التعليم ولكن مع الأسف أخذوا يتسللون عن الإعانة واحداً بعد واحد حتى لم يكن بيدي سوى إعانة الأمير، فاضطرت أن أقتصد وأضيق دائرة الدروس حتى يبعث الله لها من يأخذ بيدها ومضت على هذه الحال سنين ولسان حالها يقول يقول الشاعر:

كنت أمشي على اثنتين قويا صرت أمشي على ثلاث ضعيفا

ولكن أطفاف المولى خفية فما دخلت سنة ١٣٥٦هـ حتى بعث الله للمعارف عموماً لجنة من تجار الكويت الغيورين فاجتمعوا وفرضوا على أنفسهم في جميع ما يرد الكويت من أموال التجارة في المائة نصفاً للمعارف، وطلبوا مني أتولى إدارة التعليم فوافقتهم عليها بشرط أن لا يتدخل الأعضاء في منهج التعليم وأن يكون عبد الملك أمين الصندوق وهو المسئول عن إدارة التعليم حتى ندرك مديراً للتعليم لأني مشغول بالتجارة وليس في إمكاني أن أتجرد للمعارف ولما سارت المعارف في مبدأ سيرها تبين أن الدخل لا يسد العوز فزاد الأمير الحالي عبد الله السالم في المائة نصفاً على ما تقدم ثم فتح الله على الكويت باب النفط

فقامت الحكومة بواجبها بالإنفاق الجزل فوسعت إدارة المعارف حتى بلغت أوج الكمال ونسأل الله لها الحفظ والاستمرار فيما يعود نفعه على الوطن وأهله"

حكاية مدرسة المباركية



"إليك هذه الحكاية: فقد كنت في المدرسة المباركية وأنا ألقى الدرس الديني فسئلت عن "إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ" الفجر (الآية ٧). وما ذكر عنها من الأشياء المستحيلة من أن بناءها من ذهب وفضة وترابها المسك وحبها اللؤلؤ وإن عبد الله بن قلابة دخلها في زمن معاوية. فأجبت أن

هذه المدينة حديث خرافة وكان من التلامذة المرحوم خالد الفرج فأخذ يشيع في تكذيب حكاية هذه البلدة وسمع أحد المشايخ فوجه اللائمة التي مع علمه إن ما قلته صحيح ولكن قال ما نحب أن يفتح باب الانتقاد على المتقدمين لأن هذه المدينة ذكرت في بعض التفاسير للقرآن فأجبت أن الحق أحق أن يبين فهذا الشيخ رجل صالح ويعرف الحق ولكن رجح تقديس المتقدمين على بيان الحق والحال أن الحق لا يعرف بالرجال بل الرجال يعرفون بإتباع الحق".

السعي في طلب العلم

"قول محمد الغزالي في كتابه (الإسلام والطاقت المعطلة) إذا كان التصوف تطرق إليه فساد كبير ونشأت عنه منكر شنعاء فإن غيره من علوم الدين واللغة لم تسلم من هذا الفساد وإن علم الكلام الذي يدرس في الأزهر سقيم المنهج قليل الجدوى وعلم الفقه كما يؤخذ عن كتبه من عدة قرون ليسيء إلى الدين أكثر مما يحسن. وتصديقا لقول الغزالي أقول لما عدت من الإحساء أنا وزميلتي المرحوم الشيخ أحمد ابن الشيخ خالد العدساني كان رأيته أن يتوجه إلى مصر ليزداد علما وأنا رأيته أن أتوجه إلى مكة المشرفة لأداء فريضة الحج وأتزوّد من العلم وسافرت إلى مكة في سنة ١٣٢٣هـ وسافر الشيخ أحمد إلى مصر وبعد وصولي إلى مكة أخذت أحضر دروس المشايخ في الحرم وأحسن ما رأيته دروس الشيخ شعيب المغربي فكنت أحضر لدروسه في الحرم في متن ألفية^١ ابن مالك وصحيح البخاري وطلبت منه درسا في المنطق

^١ الألفية: الألفية" نوع من المنظومات الشعرية التعليمية ظهرت قبل أكثر من ألف سنة في العلوم المختلفة، وتمتاز الألفية بأن أبياتها تبلغ ألفا أو تقارب الألف أو تربو، ولذلك سميت

فقال لا أتمكن في الحرم إلا إذا أتيت إلى بيتنا فكنت أذهب إلى بيته حتى أكملت شرح (السلم) وبعد إقامتي في مكة نحو أربعة أشهر عدت إلى محلي بالمدرسة فإذا بزيميلي الشيخ أحمد جالس وبعد السلام سألته عن السبب في ترك دروس الأزهر فقال لا تصلح ولا فيها ثمرة ينقضي الدرس كله في تقارير باردة مثل. لو قال المؤلف كذا لكان أصلح من كذا. وهكذا ليظهر المدرس مقدرته في حلقة الدرس ولا يسأل الطالب عن درسه ليعرف اجتهاده من تقصيره.

طلب العلم في الإحساء

في سنة ١٣٢١ هجرية سافرت إلى الإحساء لطلب العلم ومعني المرحوم أحمد ابن الشيخ خالد العدساني ودادود بن صالح المطوع، وبصحبنا كتاب من الشيخ عبد الله العدساني إلى شيخنا المرحوم عبد الله بن علي آل عبد القادر، مضمونه التوجيه لنا، ولما وصلنا المبرز أنزلنا الشيخ في المدرسة، ومنعنا من تكاليف المعيشة، وصرنا في ضيافته مدة إقامتنا وكان من مكارم أخلاقه أن يرى لنا الفضل عليه في المماثلة بسبب أنسه بنا وانشرح صدره واستمررتنا بالدرس، ولم يجب الشيخ عبد الله على كتابه، حتى مضى شهران، وأجاب بعد ذلك عن كتابه وأدرج فيه هذين البيتين قالهما ارتجالاً أثناء الكتابة، وهما:

وإن سألت عن الإخوان ما فعلوا فهم على حالة بالجد منصفه:

بالألفية. " وصياغة العلوم نظماً نشأت قديماً بقصد التيسير على الدارسين للإمام بالعلوم، وتذكر مسائلها، ومن أشهر ما عُرف من الألفيات: ألفية "ابن سينا" المتوفى سنة (٣٧٠ هـ = ٩٨٠م) في أصول الطب، وألفية "ابن معط" المتوفى سنة (٦٧٢ هـ = ١٢٧٣م) في النحو، وألفية "ابن مالك" المتوفى سنة (٦٧٢ هـ = ١٢٧٣م)، وألفية "العراقي" المتوفى سنة (٨٠٦ هـ = ١٤٠٤م) في علم مصطلح الحديث، وألفية "ابن البرماوي" المتوفى سنة (٨٣١ هـ = ١٤٢٧م) في علم أصول الفقه، وألفية "القباقبي" المتوفى سنة (٨٥٠ هـ = ١٤٤٦م) في البلاغة، وكان **للسيوطي** المتوفى سنة (٩١١ هـ = ١٥٠٥م) ألفيتان في علمي مصطلح الحديث والنحو.

غير أن ألفية ابن مالك في النحو هي أشهر الألفيات على اختلاف أنواعها وفنونها، وأصبح الذهن ينصرف إليها حين يُذكر اسم الألفية. وغدت من الأصول التي لا يستغني عنها الدارسون للنحو حتى وقتنا هذا، وحسبك دليلاً على هذا أنها ما تزال حيّة نابضة لم تضعفها كثرة السنين، وتغير الأحوال " (انظر موقع إسلام أون لاين):

<http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/10/article29.shtml>

لهم قلوب على التحصيل عاكفة كمثل أسمائهم ليست بمنصرفه

ثم قال لنا أخرت الجواب عمداً لأخبره بحقيقة اجتهادكم... ومعنى قوله ليست بمنصرفه، أن يوسف وأحمد وداود، لا يدخلها الصرف النحوي، وهو التنوين. وله عليه في فصل المضاف عن المضاف إليه، معترضاً على النحويين.

ناجاني المحبوب عند اللقاء فقلت لا أرضى سوى سيبويه
فقال دع عنك سمات الورى وقولهم، لا تجر يوماً عليه
فإنهم قد جوزوا فاصلا بين مضاف ومضاف إليه!.

حقيقة مرة

يُحرم تفريق الولد عن أبويه

ورد في الحديث [من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة] رواه أحمد والترمذي. وورد أيضاً [لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرق بين الوالد وولده وبين الأخ وأخيه] رواه ابن ماجه والدارقطني. وأقول: هذا الحكم في الرقيق الذي ليس له وجود في هذا الزمن لأن الرقيق الشرعي هو الكافر المسترق في الحرب وإذا أمعنت النظر فهذا الرقيق انقطع. والمسلمون هم أرقاء للكفار بالمعنى ولولا أن أوروبا وأمريكا حرمتا بيع الرقيق مطلقاً لبيع المسلم على رؤوس الأشهاد ولكن الفضل للكفار بهذا الصفح عن المسلمين. فإذا علمت هذا فما بال المسلمين في الجزيرة يجيزون بيع الأحرار ويفرقون بين الولد ووالديه والأخ وأخيه والمرء وزوجه بحجة أوهى من بيت العنكبوت وهي قولهم: إن هؤلاء الأرقاء يحتمل أنهم ذرية من أولئك القدماء مع علمهم بانقطاع الرقيق الشرعي وعلمهم بمصدر هؤلاء الأرقاء من المسلمين بعضهم من بعض بالنهب والسرقه وبيع بعض الفقراء أولادهم. وزد على هذا أنهم يطأون هؤلاء باسم الرق بلا عقد نكاح فالويل لهم من هذه الجرأة على بيع إخوانهم المسلمين الأحرار بهذه الحجة الواهية^١ (ص ٢١٧).

^١ هذا وصف أليم وكلمات قاسية سجلها القناعي ولكنها صادقة وتعبر عن وقائع الجزيرة في القرون المتأخرة فكان الناس في الخليج يتهمون السود بالبلادة (آل نوري، ١٩٨١ م، ٢١٣) وكانت طبقة العبيد والزنج في الكويت تقل نسبتهم عن ٢٥% ويعملون معاملة حسنة ومقبولة في رأي بعض الباحثين ولكنها "صورة من صور التمايز بين الطبقات الاجتماعية واستغلال الإنسان للإنسان" (جعفر، ٢٠٠٣ م، ص ١٨٦) رغم المعاملة الحسنة التي كان ينالها معظم العبيد (الغنيم، ٢٠٠٥ م، بحوث مختارة من تاريخ الكويت، ص ٩١). وقصص العبيد القاسية الصعبة هي قصص

" إن اليوم لا توجد مملوكة شرعية والوطء حرام حتى بالشراء" (ص ٢٧٨).

حقيقية وفي غاية الغرابة (انظر العبدالمغني ، ٢٠٠٥م، ص ١٣١ - ١٣٧، الرومي ، وآخرون ٢٠٠٦، ص ٢٤٦) وتكشف عن حياة فئة مظلومة استضعفت تحت غطاء اجتماعي، وقصة الرق في العالم الإسلامي تدل على الاختلاف الصريح بين الرؤية الإسلامية النظرية ذات التطبيقات الرحيمة في العصر الحجري الأول وبين الواقع التاريخي المعاش لعدة قرون في ديار وفكر المسلمين كما تشير نتائج الدراسات المتخصصة (بنمليح، ، ٢٠٠٤ م، ص ٥٥٦). ويذكر عبدالله خالد الحاتم (٢٠٠٤م) في كتابه من هنا بدأت الكويت أن "مبروكة" جارية سوداء هي أول امرأة عولجت في مستشفى نسائي في الكويت كانت مصابة بقرح كبير في ركبته، ولما سئلت عن اسمها واسم والدها لقيده في سجل المستشفى الجديد أجابت بأن اسمها (مبروكة) أما والدها فلا تعرفه لأنها اختطفت من السودان وهي طفلة (٩٣). ولا شك أن هناك من كان يحسن في معاملة العبيد ولكن الحقيقة أن الرق غير المبرر صورة من صور سلب الإنسانية. ونقرأ في كتب الحديث عن الزنج " (وإياكم والزنج) بفتح الزاي وتكسر: أي احذروا شراءهم (فإنهم قصيرة أعمارهم قليلة أرزاقهم) وهو جيل من السودان مسكنهم تحت خط الاستواء جنوبية ولا عمارة وراءهم (قيل) وتمتد بلادهم إلى قرب الحبشة وبعضهم على نيل مصر، وإنما كانوا كذلك لأن الأسود إنما هو لبطنه وفرجه ... وإن جاع سرق وإن شبع فسق" .

عالج الإسلام موضوع الرق بصورة إنسانية عادلة ولكن تطبيق توجيهات الإسلام في هذا الشأن في بعض الفترات التاريخية انحرف عن الهدى الإسلامي الصحيح. قال غوستاف لوبون في كتابه : تمدن العرب " إن لفظة الرق إذا ذكرت أمام الأوروبي ... وَرَدَ على خاطره استعمال أولئك المساكين المثقلين بالسلاسل، المكبلين بالأغلال، المسوقين بضرب السياط، الذين لا يكاد غذاؤهم يكفي لسد رمقهم، وليس لهم من المساكن إلا حبس مظلوم... أما الحق اليقين فهو: أن الرق عند المسلمين يخالف ما كان عليه النصارى تمام المخالفة".

كان الناس في الخليج يتهمون السود بالبلادة (آل نوري، ١٩٨١ م، ٢١٣). وكانت طبقة العبيد والزنج في الكويت رغم أن معظم الناس كانوا يعاملوهم بحسن خلق إلا أن عملية بيع وشراء هذه الطبقة وأحياناً الاستمتاع بهؤلاء باسم الرق بلا عقد نكاح من النقاط السوداء في التاريخ العربي إلى العصر القريب وهي تدل على البون الشاسع بين ما بشر به الإسلام وبين الواقع المعاش. قبل أكثر من قرن من الزمن كتب أحمد شفيق "لا يجهل أحد من الناس ما بذلته إنجلترا من المساعي في إبطال الاسترقاق، وإنما لأجل نوال هذه الغاية الإنسانية قد عقدت العقود وأبرمت المواثيق مع عدد عظيم من دول آسيا وأمريكا وأفريقية، وبعد أن لاقت في طريقها صعوبات جمة قد فازت بالنجاح ونالت الأرب" (شفيق، ٢٠١٠م، ص ٩٤).

ولقد قدم الغرب قوانين كثيرة لكسر قيد العبودية وساندها أدبيات تنادي بالحرية ومن أهمها قصة هاريت ستاو (٢٠٠٦م) (Harriet Beecher Stowe) المشهورة عالمياً (كوخ العم التوم) (Uncle Tom's Cabin). (Cabin).

بيان حقيقة تاريخية

"إن كتاب الآيات الصباح في مدائح مبارك الصباح لعبد المسيح الأنطاكي طبع سنة ١٣٣٩هـ. ولما وصلت النسخ إلى جمرک الكويت أطلعني المرحوم ناصر بن مبارك الصباح على نسخة منه فقلت له: انصح والدك في إخفاء هذا الكتاب لأنه مهازل وأكاذيب افتراها الأنطاكي ليس لها صحة بتاتا، وإن انتشر هذا الكتاب فسيكون أضحوكة الزمان عليكم بين أهل الكويت وغيرها فتكلم ناصر مع والده وأمر بحبس الكتاب في الجمرک وعهدي به أنه في صناديق مكدسة في الجمرک ولا أعلم الآن عنه بشيء، ولعله أحرق أو أغرق ولا بد من ذكر نبذة من كلام الأنطاكي في مبارك الصباح، فهو يقول (ولد مبارك ١٢٦٠هـ ولما بلغ الخامسة من عمره احتضنه جده فجاء له بأستاذ من كبار العلماء، وعكف على تربيته وتهذيبه على آداب الدين الحنيف ولم يبلغ الثامنة من عمره حتى حفظه القرآن على لوح صدره وشرع يتفقه في الأحكام الشرعية، وعند ما بلغ العاشرة كان لا يكتفي بتلاوة دروسه وتلقي شروحات شيخه بل كان يسأل عن كل شيء مما أدهش ذلك الشيخ. وفي الرابعة عشرة من عمره انتهى من دروسه بنجاح خارق فتصدر مجالس الحكم وأظهر ميلا شديدا إلى العدل ما عهدته الناس في حاكم من عهد عمر) فهذه ذرة من ساحل الرمل أكتفي بها والكتاب توجد منه نسخ عند الخواص. ولهذا كتبت عنه كيلا يصدق القارئ بما في هذا الكتاب من الأكاذيب".

حكم البناء على القبر وتخصيصه

"إذا كان البناء في أرض مسبلة وهي المتخذة لدفن عموم المسلمين فالبناء على القبر وتخصيصه حرام وإذا كان البناء في أرض هي ملك لصاحب القبر فالبناء والتخصيص مكره عند الأئمة الثلاثة وأما أبوحنيفة فيرى عدم كراهته فهذا خلاصة ما عليه المذاهب الأربعة وقد ورد في صحيح مسلم [نهي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجصص القبر وأن لا يبنى عليه].

وعن أبي الهياج الأسدي عن علي رضي الله عنه أنه قال أبعثك على ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته] فمن هذا الحديث يستدل أن القبر لا يرفع كثيرا. ويقول الشوكاني وهو من الشيعة الزيدية "قد سرى من تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفساد ييكي لها الإسلام منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب المنافع ودفع الضرر فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربحهم وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا، وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئا مما

كانت الجاهلية تفعله إلا فعلوه ومع هذا المنكر الشنيع والكفر البغيض لا تجد من يغضب الله وينادي حمية للدين الحنيف لا عالما ولا متعلما ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا، وإذا طلب اليمين من هؤلاء الجهلة حلفوا بالله وهم كاذبون، وإذا طلب منهم اليمين بأصحاب القبور تلعثوا وأبوا واعترفوا بالحق". انتهى كلام الشوكاني باختصار قليل.

أقول إني شاهدت بنفسي في العراق ما قاله الشوكاني من اعتقاد بأهل القبور من جلب المنافع ودفع الضرر وشد الرحال إليها واستغاثتهم بما لقضاء الحوائج وتفريج الكرب، وأهل العمائم ينظرون إليهم ولا يفهمونهم عن هذه المناكر التي يأبأها دين التوحيد، والسبب في ذلك أنهم لو قالوا لهم أن النفع والضرر بيد الله وليس لصاحب القبر حل ولا عقد لترك السواد الأعظم الزيارات لهؤلاء الرمم وانقطع عن أهل العمائم ما يدر عليهم الزوار من الدنانير فإننا لله وإنا إليه راجعون على هذه المصائب التي بلي بها المسلمون، وكلها من علماء السوء.

أظهرو للدين نسكا وعلى الدينار داروا

وله صلوا وصاموا وله حجوا وزاروا

ان يكن فوق الثريا ولهم ريش لطاروا

أهم المراجع

شفيق أحمد (٢٠١٠م). الرق في الإسلام. ترجمة أحمد زكي. ط١، الحيزة: دار طيبة للطباعة.

ستاو، هاريت (٢٠٠٦م). كوخ العم توم. نقلها إلى العربية منير البعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين.

الرومي، عدنان سالم، وآخرون (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م). تاريخ ما أهمله التاريخ: حملات الحج

الكويتية على الإبل. ط١، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

ابن أحمد، الخليل (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م). العين. موقع الوراق:

<http://www.alwaraq.com>

ابن منظور (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م). لسان العرب. موقع الوراق:

<http://www.alwaraq>

آل نوري، عبدالله (١٩٨١م). الأمثال الدارجة في الكويت. الكويت: منشورات دار السلاسل.

البعثة (نشرة ثقافية شهرية يصدرها بيت الكويت بمصر). جمعها وأعاد طباعتها مركز البحوث

والدراسات الكويتية (١٩٩٧م). الكويت.

بنمليح ، عبدالإله (٢٠٠٤ م). الرق في بلد المغرب والأندلس. ط ١، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.

تمام، أحمد (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م). ابن مالك صاحب الألفية. موقع إسلام أون لاين:

<http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/10/article29.shtml>

جعفر، أحمد (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م). ملامح التغيير الديموغرافي في الكويت وانعكاساتها الاجتماعية. في الكويت ومسيرتها التنموية، تأليف عبدالله الكندري وآخرون. ط ١، الكويت: مكتبة الطالب الجامعي.

الحاتم، عبدالله خالد (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م). من هنا بدأت الكويت. ط ٣،

السيوطي، عبدالرحمن. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. بيروت: دار الكتب العلمية.

العبدالمغني، عادل محمد (٢٠٠٥ م). ذكريات وحكايات كويتية.

الغنيم، عبدالله يوسف (٢٠٠٥ م). بحوث مختارة في تاريخ الكويت. الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية.

القناعي، يوسف بن عيسى (١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م). صفحات من تاريخ الكويت. موقع

الجناعات: <http://www.alqnaei.net>

القناعي، يوسف بن عيسى (١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م). الملتقطات.

موقع الجناعات: <http://www.alqnaei.net>

المزيني، أحمد (١٤١١ - ١٩٩١ م). الغزو العفلقوي. ط ١، الكويت.

الموسوعة العربية العالمية (١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م). الكويت.

<http://www.intaaj.net>

موقع الديوان الأميري (١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م). التعليم في الكويت قبل النفط.

http://demo.sakhr.com/diwan/main/Story_Of_Kuwait/Kuwait_before_Oil/Social_Life/education.html

موقع مجلس الأمة (٢٠٠٤ م). المجتمع الكويتي ودوره في ترسيخ الديمقراطية:

<http://www.majlesalommah.net/run.asp?id=154>

اليمني ، الحسين ابن المنصور (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م). آداب العلماء والمتعلمين. موقع الوراق:

<http://www.alwaraq.com>

Qattan, L. Pioneers of Kuwait: National Library Opened Public. Al- Qana'i Helps set up New School. In **Arab Times**.